عقبات وفرص

الأكاديميات الأمريكية والروسية تشكّل روابط من أجل الأمن النووي

بقلم كريستوفر إيلدريدج

في مواجهة الأخطار المتزايدة للإرهاب والانتشار النوويين باشرت أكاديميات الولايات المتحدة الوطنية (NA) والأكاديمية الروسية للعلوم (RAS) في بداية عام 2002 بتنفيذ سلسلة مشاريع مشتركة لحشد خبراتها المتّفق عليها للاندفاع باتجاه التحدّيات الخاصّة بالتعاون بين بلديهما في مجال عدم الانتشار النووي. وقدّمت الوكالة الدولية للطاقة الذرّية قدراتها ودعمها لهذا التعاون بين الأكاديميات عن طريق استضافة ورشات العمل المنظّمة بشكلٍ مشترك من قِبَل أكاديميات الولايات المتحدة الوطنية (NA) والأكاديمية الروسية لِلعلوم (RAS) والمموَّلة من قِبَل مبادرة التهديد النووي Nuclear Threat Initiative الموجودة في الولايات المتحدة.

سلّطت ورشتا العمل، المنعقدتان في المقر الرئيسي للوكالة الدولية للطاقة الذرّية، الضوء بشكلٍ مهمٍّ على كلٍّ من العقبات والفرص المتاحة. وتمّ في الورشة الأولى استكشاف الوسائل للتغلُّب على عوائق التعاون بين الولايات المتحدة وروسيا في مجال عدم الانتشار النووي. وكان من ضمن المشاركين مسؤولون حكوميون حاليون وسابقون في الولايات المتحدة وروسيا معنيون ببرامج التعاون، وخبراء من منظمات غير حكومية في البلدين. وحضر الورشة الثانية مجموعات متعدِّدة الجنسيات من الخبراء في مجال الوقاية من المواد النووية ومراقبتها وحسابها (materials protection, control and account) (MPC&A) لمناقشة الممارسات والإجراءات في ضوء تهديدات الانتشار النووي والإرهاب المتزايدة.

التغلُّب على العوائق

استكشف المشاركون في الورشة الأولى وسائل تقوية برامج التعاون بين الولايات المتحدة وروسيا، وهما بلدان مركزيان بالنسبة إلى أهداف المجتمع الدولي المتعلّقة بعدم الانتشار النووي والتصدي للإرهاب. وتتمثّل أهداف هذه البرامج، التي بدأت فور سقوط الاتحاد السوفيتي عام 1991، في صون ودمج وإزالة الأسلحة والمواد النووية، التي هي ميراث المجمّع النووي الضخم للاتحاد السوفيتي. وكما أشار السيد طارق رؤوف – الذي يعمل لدى الوكالة الدولية للطاقة الذرّية – في ملاحظاته الافتتاحية، فقد كانت الولايات المتحدة وروسيا نموذجاً للتعاون مع الوكالة الدولية للطاقة الذرّية في دعم برامجها لعدم الانتشار النووي، لكن أمام الدولتين الكثير من التحدّيات التي يجب تخطّيها في مجال تعاونهما. وفي ضوء الحقيقة المتمثّلة بأن لدى هاتين الدولتين أضخم ترسانات نووية في العالم، أشار السيد رؤوف إلى أن نجاح الجهود في مجال عدم الانتشار النووي مرتبط بإحراز تقدُّم ملموس في مجال نزع السلاح النووي.

وكانت الفكرة الرئيسية الأولى التي نتجت عن المناقشة أنه يجب الإقرار بالإنجازات بحدِّ ذاتها، المحقَّقة في العديد من أوجه التعاون في مجال عدم الانتشار النووي والاقتداء بها كأمثلة إيجابية. وتتضمّن الإنجازات الناجحة اتفاق شراء اليورانيوم العالي التخصيب (HEU) وتفكيك الغوّاصات النووية الروسية المتوقفة عن التشغيل التي كانت تحمل أسلحة نووية، وإقامة المركز الدولي للعلوم والتكنولوجيا. إن مثل هذه البرامج تلخِّص القدرة الكبيرة التي يوفِّرها التعاون الدولي من أجل بناء السلام والاستقرار.

على الرغم من هذه الإنجازات الناجحة، يبقى عدد من العوائق التي تحول دون التعاون بين الولايات المتحدة وروسيا في مجال عدم الانتشار النووي. وتعتبر العقبات السياسية من أكثر العوائق صعوبة، فهي تتضمّن ربط التمويل المستمر للبرامج التعاونية ببرامج سياسية أوسع في الولايات المتحدة، ورفض إدخال موظفي حكومة الولايات المتحدة إلى المنشآت الروسية حيث تُنفَّذ الأعمال المموَّلة من قِبَل الولايات المتحدة، والمصاعب التي يواجهها خبراء عدم الانتشار النووي الروس عند محاولة الحصول على تأشيرات دخول إلى الولايات المتحدة من أجل إجراء مناقشات علمية أو حتى من أجل تنفيذ أعمال حكومية رسمية.

العقبة الأخرى التي تقف في وجه التعاون هي قضية الحماية من التعرُّض لمتعاقدين من الولايات المتحدة الذين يعملون في مشاريع لدى المنشآت النووية الروسية. وبناءً على شروط المسؤولية التي تمَّ التفاوض عليها أولاً مع الروس عند بداية التعاون، تؤكِّد حكومة الولايات المتحدة على وجوب إيجاد حماية من التعرُّض شاملة ضد أي حادث. على أية حال، تجادل الحكومة الروسية أن هذا المستوى من الحماية غير معقول ويتجاوز المعايير الدولية. ولا تعكس مثل هذه التحدّيات السياسية الأنظمة السياسية المختلفة للأمتين فقط بل تشير أيضاً إلى عدم الثقة المتراكمة عبر عقود عداوة الحرب الباردة. كما تشكِّل القضايا البيروقراطية والتنظيمية، مثل فجوات الاتصال وعدم التوافق بخصوص أمور المسؤولية، عقبات هائلة.

ومع التسليم بعدم وجود حلٍّ واحد لهذه المشاكل، ناقش المشاركون في الورشة مجموعة واسعة من الوسائل يمكن للمسؤولين من كلا الحكومتين استخدامها لمواجهة تحدّيات التعاون في مجال عدم الانتشار النووي. فالتفاعلات الرسمية وغير الرسمية على مستويات متعدّدة من المسؤولية، سواء كانت داخل الحكومة أو خارجها، على سبيل المثال، هي ذات قيمة كبيرة من حيث توفير القيادة الحاسمة والتغلُّب على العوائق البيروقراطية وتحديد المشاكل والحلول لها وبناء الثقة من خلال العلاقات الشخصية. ويمكن للتعاون العلمي والفني الإضافي، وخصوصاً في مجال تطوير تقانات الطاقة النووية المضادة للانتشار النووي، أن يزيد كذلك من فرص التغلُّب على العقبات في وجه التعاون.

ولأن بعض البنى التنظيمية والقانونية القائمة في كلٍّ من البلدين تشكِّل في بعض الأحيان حواجز في وجه التعاون، ولأن التنظيمات اللازمة في الحالات الأخرى لم تصدر بعد، فقد شجَّع المشاركون كلا الحكومتين على تحديث القوانين والتنظيمات ذات الصلة لتسهيل التعاون. وختاماً، أكّد البعض على الحاجة لإيجاد آليات لنشر فوائد الخبرة من خلال برامج تدريبية، بحيث لا يكون هناك داعٍ لاستقاء الدروس من أكثر من برنامج.

المشاركة بالممارسات الأفضل

ولأن العلماء والمهندسين والفنيين الذين يشرفون على برامج الوقاية من المواد النووية ومراقبتها وحسابها MPC&A ويشغِّلونها عبر العالم هم المسؤولون عن الوقاية والإدارة والحساب للمواد والمكونات التي تُستخدم في برنامج الدولة للطاقة أو الأسلحة النووية، فهم على خطوط جبهة النضال ضد الانتشار والإرهاب النوويين. لذلك، دعت الورشة حول MPC&A لتوسيع كتلة المعلومات الفنية التي يمكن للخبراء أن ينفذوا واجباتهم على أساسها وعن طريق تعريضهم لأساليب وأفكار مختلفة. كما تعلَّم المشاركون الممارسات الحالية لبرامج MPC&A في العديد من الدول واستكشفوا دورها في دعم النظام الدولي لعدم الانتشار النووي المؤسَّس بناءً على معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية (NPT).

استفادت هذه الورشة بشكلٍ خاص من مشاركة عالية المستوى لممثلي الوكالة الدولية للطاقة الذرّية والدول الأعضاء. ولم تسلِّط العروض المقدَّمة الضوء على وجهات النظر المختلفة للدول الممثلة فقط، بل أيضاً على الأهداف المشتركة لهذه الدول الرامية إلى تخفيف مخاطر الانتشار والإرهاب النوويين. فقد عرض نائب مدير عام الوكالة الدولية للطاقة الذرّية للأمان والسلامة النووية السيد توميهيرو تانيغوتشي Tomihiro Taniguchi خطة الوكالة للعمل في مواجهة أخطار الإرهاب النووي. وقام نائب مدير عام الوكالة الدولية للطاقة الذرّية للضمانات السيد بيير غولد شميت Pierre Goldschmidt بمناقشة التحدّيات التي تواجه النظام الدولي لعدم الانتشار النووي.

وركَّز جدول أعمال الورشة على مكوِّنات رئيسة ثلاثة هي: القضايا الشاملة، ومنظومة MPC&A الوطنية، والضمانات الدولية المضادة للانتشار النووي. وغطَّت العروض المقدَّمة حول القضايا الشاملة مجموعة من التحدّيات ووجهات النظر، لكن الحاجة لوجود عمل جماعي ضد تهديدات الإرهاب النووي كانت هي الفكرة الأقوى ضمن جميع الأفكار. كما قدَّم المشاركون خلال الجلسات الخاصّة بمنظومات MPC&A الوطنية عروضاً عن الممارسات في عدة دول محدَّدة وعن التحديات الأكبر التي تواجهها كلّ تلك المنظومات الوطنية. وكان من الواضح أن كلّ أمة كانت تناضل من أجل تأسيس منظومة MPC&A فعّالة ضمن مفاهيمها السياسية والاقتصادية والثقافية الخاصّة بها. لم تستكشف مناقشات التحدّيات التي تواجهها جميع المنظومات الوطنية العوامل الفنية فقط، بل استكشفت كذلك العوامل الإنسانية والتنظيمية المتعلقة بإدارة المنشآت النووية، مؤكدة الحاجة لتطوير مفهوم أكثر تعقيداً للدور الذي تلعبه مثل هذه العمليات غير الفنية.

وصوَّرت الجلسة حول الضمانات الدولية المشهد العالمي لجهود عدم الانتشار النووي ودور الوكالة الدولية للطاقة الذرّية في هذه الجهود. كما قدَّمت الأوراق عن التطورات الفنية وصفاً للتوجهات في تقانة الوكالة الدولية للطاقة الذرّية المتعلقة بالتفتيش والتحقُّق بمنظومات MPC&A. ولخَّصت العروض المقدَّمة عن التحدّيات السياسية في روسيا والولايات المتحدة واليابان برامج عدم الانتشار والمعاهدات المدعومة من قِبَل كل حكومة وعرضت ثلاث وجهات نظر مختلفة حول المشكلات والأولويات المرتبطة بالنظام العالمي لعدم الانتشار النووي.

العمل باتجاه الأهداف المشتركة

برزت عدة مواضيع مهمّة خلال الورشة.

أولاً: أكّدت هذه المواضيع على القيمة الكبيرة للحوار الدولي بين الخبراء الذين يعملون لتحقيق أهداف مشتركة. فقد تمكّن المشاركون خلال المناقشات من تحديد المشاكل والنظر للحلول الممكنة وتقوية جهودهم المتعاونة بواسطة المشاركة بمعلوماتهم.

ثانياً: استفاد المشاركون من معرفة الاختلافات لدى كلٍّ منهم. وبالتأكيد كان ذلك عاملاً مهمّاً خلال مناقشات العلاقة التعاونية بين الولايات المتحدة وروسيا، ولكنه كان ذا قيمة كبيرة جداً أيضاً بالنسبة لورشة MPC&A. فقد أصبح واضحاً خلال تلك المناقشات أنه يمكن للولايات المتحدة وروسيا أن تتعلّما الكثير من الأمم الأخرى التي لديها نظرة جديدة لتحديات MPC&A مثلما يمكن لتلك الأمم أن تستفيد من الخبرة النووية الطويلة والضخمة للخصمين السابقين.

ثالثاً: سلَّطت المناقشات الضوء على الطبيعة الدولية المتزايدة لتحدّيات عدم الانتشار النووي، وأكّدت من جديد على الحاجة لمواجهة المشاكل العالمية بواسطة حلول عالمية.

ختاماً: أظهرت ورشات العمل أنه يتم الفهم الأفضل للقرارات العلمية والفنية المتضمّنة دلالات للسياسة المحلية والدولية ليس فقط كاختيارات عقلانية ضمن خيارات علمية، بل أيضاً من خلال المفاهيم السياسية والاقتصادية والثقافية التي تتخذ في ضوئها.

كريستوفر إيلدريدج *موظف برامج في قسم السياسة والشؤون العالمية لدى الأكاديميات الوطنية في الولايات المتحدة. وقد قام بإدارة برامج مشتركة متعدّدة حول عدم الانتشار النووي لصالح الأكاديميات الوطنية وأكاديمية العلوم الروسية.*
البريد الإلكتروني: celdridg@nas.edu